استراتيجية التعامل التركي مع اقليم كوردستان العراق بعد2003

ا.د مثنى علي المهداوي*

الملخص :

ان الموقف التركي من ازمة الخليج الثانية 1991 وما تبعها من مواقف تجاه كردستان العراق اثرت بصورة مباشرة على استراتيجية التعامل التركي مع اقليم كوردستان العراق بعد . 2003 واسهمت الظروف في العراق بعد تغييرات نيسان 2003 في تمدد النفوذ التركي داخل اقليم كوردستان العراق ، ولاسيما عن طريق الادوات الاقتصادية ، اذ اصبحت تركيا الشريك الاقتصادي الاول مع اقليم كوردستان . وهذه الادوات الاقتصادية سوف تبقي تركيا لاعبا اساسيا في اقليم كوردستان العراق مستقبلا حتى بعد الاحداث التي شهدها الاقليم نتيجة اجرائه الاستفتاء على انفصال الاقليم عن العراق ، والتداعيات السلبية التي خلفها الاستفتاء بعد عدم نجاحه على اقليم كوردستان العراق.

Abstract:

The Turkish position of the second gulf crisis 1991 and the subsequent attitudes towards Kurdistan Iraq directly affected the strategy of dealing with the Kurdistan region of Iraq after the changes in April 2003 in the expansion of Turkish influence within the Kurdistan region of Iraq , especially through economic tools as turkey became the first economic partner with Kurdistan , and these economic tools will stay Turkey basic player in the Kurdistan region of Iraq in future even after the events witnessed by the region as result of hold the referendum on the separation of the region from Iraq and the negative implications left by the referendum after its failure on the Kurdistan region .

*كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد ، muthanna200813@yahoo.com

المقدمة :

ثمة مخاوف في كوردستان العراق تجاه تركيا ارتبطت بالسياسة التقليدية والعمليات العسكرية التركية المتكررة في شمال العراق ، وتعززت هذه المخاوف بعد موقف تركيا الرافض لاستفتاء انفصال اقليم كوردستان العراق والخطوات اللاحقة التي اتخذتها كرد فعل لاجراء الاستفتاء ، في المقابل نظرت تركيا على الدوام إلى الكرد بأنهم مجرد عشائر وقبائل متمردة تبحث عن إقامة دولة كردية في المنطقة ومستعدة للتحالف مع أعداء تركيا .وهناك بعدان عند دراسة علاقة تركيا بكوردستان العراق يجدر التمييز بينهما ، هما بعد خاص متعلق بأهمية كوردستان العراق الخاصة وتأثيرها فى القضايا التركية الداخلية ، والأمن القومى التركى ، والدور الإقليمى لتركيا .وبعد عام متعلق بدور ووظيفة البعد الاقتصادى فى السياسات الخارجية التركية بشكل عام ، وتجاه كوردستان العراق بشكل خاص ، خاصة بعد تولي حزب العدالة والتنمية السلطة في تركيا .

اذ تعد القضية الكردية احد اهم العوامل المؤثرة في رسم تركيا لسياساتها الداخلية والخارجية ، وعلى الرغم من ان تركيا لاتعترف بهذا الأثر الكبير للقضية الكردية عند صنعها لسياساتها ، ولكن واقع الحال الداخلي لتركيا فضلا عن الوضع الاقليمي يكشف اهمية القضية الكردية . وزادت هذه الاهمية بعد ازمة الخليج 1991 – 1990 وما افرزته من واقع جديد فيما يخص الكرد ، تمثل ببروز اقليم كردي يتمتع بحكم ذاتي حقيقي على ارض الواقع . الا ان الحدث الاهم الذي جعل تركيا تواجه تحديات كبيرة داخلية وخارجية كان الحرب الامريكية على العراق عام 2003 وما تبعها من تغيرات ، لاسيما التغيرات المرتبطة باقليم كوردستان وقيام نظام فدرالي في العراق . ليأتي استفتاء الانفصال الذي اجراه اقليم كوردستان العراق مكمل لهذه السلسلة من التطورات في القضية الكردية بالنسبة لتركيا .

ولذلك يحاول هذا البحث الاجابة عن تساؤلات مفادها كيف كانت المواقف التركية تجاه كوردستان العراق بعد ازمة الخليج 1991 – 1990 ، ولماذا كانت تركيا خائفة من نتائج الحرب الامريكية على العراق 2003 فيما يخص القضية الكردية ، وماهي السياسة التي تبنتها تركيا في التعامل مع اقليم كوردستان العراق بعد . 2003 وماهي الافعال المستقبلية التي سوف تتخذها تركيا تجاه اقليم كوردستان العراق في مرحلة مابعد اجراء الاستفتاء .

المحور الاول : المواقف التركية تجاه كوردستان العراق بعد 1991

مثلت ازمة الخليج الثانية 1991 – 1990 حدث مهم سوى على المستوى الاقليمي ام الدولي ، وبالنسبة لتركيا اتخذ الرئيس التركي الاسبق تورغوت اوزال خلال الازمة وبعدها عدة مبادرات لم

تحظ بتأييد من جانب عدة اوساط تركية غير حكومية . وشملت تلك المبادرة فتح قنوات للاتصال المباشر مع قادة التنظيمات الكردية العراقية المعارضة ، واقتراح خطة اقامة) مناطق آمنة (للكرد في شمال العراق تحت الحماية الغربية لاعادة من كان قد نزح منهم الى تركيا ، بعد انتفاضتهم في بداية ابريل / نيسان 1991 ، وموافقة حكومة تركيا في يوليو / تموز 1991 على ان تتركز في مناطقها الجنوبية – الشرقية وقواعد انجيرليك وباطمان وسلوبي قوة غربية جوية وبرية للتدخل السريع لردع النظام السابق من شن اي عملية ضد سكانه الكرد[١] .

وبما ان كوردستان تمثل مدخل تركيا إلى العراق ، وقد لعبت دورا مهما فى رسم خريطة العراق الحديث كجار مهم لتركيا من جهة اتجاه الإقليم إلى مزيد من الاستقلال عن السلطة المركزية فى بغداد ، والدفع نحو عراق فيدرالى ، وهو ما شكل تهديدا مستقبليا لتركيا ، وجب التعامل معه بحذر والتحسب لاحتمالاته بواقعية .

فقد حاولت تركيا ان يمر كل ما يتعلق باجراءات المنطقة الآمنة ، ومهام منظمات الامم المتحدة والوكالات الدولية عبرها بقصد التاثير على حكومة وبرلمان كوردستان العراق ، وعدم تأهيل الادارة الكردستانية في القيام بمهامها وحرمانها من تسلم مقاليد امور الشعب الكردستاني . ولقد استجابت الولايات المتحدة وحلفائها الى حد بعيد للمحاولات التركية ، ولم تقم تلك الدول في اقامة اي مشروع قد يؤدي الى تطوير الاقتصاد الكردي وجعله قادرا على الحياة ، خوفا من اتهام تركيا لكل من الولايات المتحدة وحلفائها بتشجيع الكرد على اقامة البنى التحتية الضرورية لقيام دولة كردية مستقلة هناك . وتبين بان تواجد قوات التحالف المتواجدة في المنطقة كان لترضية الاتراك وليس الكرد . ومن اجل تطويق التجربة الكردستانية قامت تركيا بتفعيل اللقاءات مع كل من ايران وسوريا ، ومن اجل ذلك تم عقد خمسة اجتماعات في انقرة للمدة من يناير / كانون الثاني 1992 الى فبراير / شباط 1994 وعلى مستوى وزراء الخارجية . وادى التجاهل الدولي لكردستان الرازحة تحت الحصار ، وتراجعه امام ضغوطات تركيا الى تفاقم الازمة الاقتصادية وتفشي البطالة في كردستان ، وبالتالي مضاعفة التوترات ، وبعد اقل من سنتين تعرضت الحكومة الكردية لازمة كبيرة عام 1994 نتيجة المشكلات التي تعرض لها الوضع الامني في كردستان[٢].

كما ان تعاون تركيا مع كرد العراق كان لمصلحة اقتصادية فضلا عن المصلحة السياسية ، من اجل تأمين انبوبي نقل النفط العراقي المارين عبر مناطق كردستان وذلك عند استئناف ضخ النفط عبر الانبوبين تطبيقا لقرار الامم المتحدة المرقم (986) الخاص بصيغة ما عرف بـ (النفط مقابل الغذاء) .ويجب ان لا ننسى عاملا آخر لا يقل اهمية عن العامل الاقتصادي والذي يخيف

تركيا ، الا وهو وجود حزب العمال الكردستاني الذي يقاتل تركيا منذ عام 1984 ، والذي استغل الفراغ الحاصل في كردستان العراق في تلك الحقبة ، وكثف من تواجده ونشاطه هناك. [٣] .

المحور الثاني : موقف تركيا من الحرب الامريكية على العراق 2003

لخص سليمان ديميرل الرئيس التركي الاسبق الموقف الصعب الذي عاشته بلاده قبل الحرب على العراق 2003 بالقول) ان الحرب حتمية مهما كانت التحركات والمبادرات . وان تركيا ستتأثر بشدة اذا ما تورطت في حرب ، لكنها ستواجه خسائر خطيرة اذا لم تصبح جزءاً منها . اننا نعيش مأساة كاملة . (فالشعبية التي حظى بها الفائزون في انتخابات اكتوبر / تشرين الاول 2002وحملتهم الى مقاعد السلطة تشكلت في ظل المبادئ والتعهدات التي اخذها حزب العدالة والتنمية التركي على نفسه اثناء حملته الانتخابية ، واكد فيها التزامه الكامل برفض الحملة العسكرية ضد العراق . معلن تمسكه بالعمل في اطار الشرعية الدولية ووفقا لقرارات مجلس الامن ومن ثم فان الاخلال بما تعهد به من قبل يعني المساس بمصداقيته وانهيار شعبيته لدى المواطن التركي الذي يرفض ، بل ويتظاهر ضد هذه الحرب . ومن ناحية اخرى كان اصرار من الولايات المتحدة على تطبيق مخططاتها العسكرية السياسية ازاء العراق . ولذلك فان استراتيجية التعامل التركي مع الازمة العراقية قبل نشوب الحرب 2003 استندت الى مبدأ رئيس مضمونه الاستعداد لمختلف الاحتمالات بما يخدم التطلعات التركية الى تعظيم المكاسب ودرء المخاطر ، وذلك من خلال نهج التعامل المباشر مع مختلف اوجه الازمة وجميع اطرافها وبتقديم رسالة واضحة للجميع مفادها نحن معكم مادامت الاعتبارات التركية تدخل في نطاق اهتمامكم . [4]

وكانت القضية الكردية تمثل احد اهم المشكلات لتركيا فيما يخص المشروع الامريكي في العراق . فتركيا بكل توجهاتها الفكرية والسياسية المختلفة كانت ترفض اقامة دولة كردية بشمال العراق ، بل في ذلك الوقت كانت ترفض حتى دولة اتحادية في العراق يكون للكرد دور فيها . فالاتراك يرون ان اقامة دولة كردية بشمال العراق سيعني في المستقبل القريب فصل ما يعادل ثلث اراضي الجمهورية التركية . كما ان الحكومة التركية وقطاعات واسعة من النخب السياسية التركية كانت تتخوف من وجود اتفاق سري بين الادارة الامريكية والكرد يؤدي الى اعلان دولة كردية في منطقة شمال العراق ، كمكافأة مقابل دورهم في الحرب الامريكية ضد النظام العراقي السابق [5] .

وهذا ما أثار مخاوف تركيا من السيطرة الامريكية الكاملة على العراق ، مما دفع الى عدم اتخاذ موقف منفرد من هذه التطورات تجاه الازمة العراقية . بل سعت الى بلورة موقف اقليمي بالتعاون

مع الدول الرئيسة ذات الصلة بالمسألة العراقية مثل ايران وسوريا والاردن والسعودية ومصر في محاولة الى تخفيف الضغوط الامريكية على تركيا بشأن المشاركة في الحرب (6).

ومع ان هذه المخاوف التركية من الحرب الامريكية على العراق عام 2003 كانت تعود الى العديد من الاسباب السياسية والاقتصادية والامنية وغيرها ، الا ان القضية الكردية كانت تمثل محور رئيس من المخاوف يتعلق بكل هذه الجوانب .

المحور الثالث : التعامل التركي مع كوردستان العراق بعد ابريل / نيسان 2003

واجهت الدبلوماسية التركية ازمة حقيقية صامتة تجاه الوضع في العراق والعلاقات المستقبلية مع هذا البلد بعد ابريل / نيسان 2003 بسقوط النظام السياسي السابق في العراق ، وكادت تكون هذه الازمة بحجم تلك التي واجهتها تركيا قبيل الحرب الامريكية على العراق 2003 ، فضلا عن المصاعب الامنية التي واجهتها الشركات التركية بالعراق . مما دفع برئاسة اركان الجيش التركي للقلق وعدم الارتياح ، وطلب عقد اجتماع لكبار قادة ومسؤولي الدولة (7) .

اذ ان اي تقسيم للعراق بحيث تظهر دولة كردية في شماله ، سيعني ذلك مباشرة تهديدات حقيقية لامن تركيا ، حتى لو تمكنت من اخماد نزاعات الانفصال لدى الكرد في الجنوب التركي . اذ ستصبح المناطق الكردية جنوب تركيا اقرب الى الدولة الوليدة في شمال العراق (8).

وكان الامر الاكثر اهمية من وجهة نظر تركيا يتعلق بكركوك ، فقد عبرت عن انها لن تقبل اي تغير في وضع هذه المدينة ، لاسيما حين اعلن بعض القادة الكرد في العراق في ديسمبر / كانون الاول 2004 عن رغبتهم في تأجيل الانتخابات المحلية في كركوك ، فقد رأت فيه تركيا محاولة لدمج المحافظة في اقليم كوردستان (9) .

ولذلك في انتخابات 30 يناير / كانون الثاني 2005 وفي اعقاب السماح بتسجيل عشرات الالاف من الكرد النازحين الى كركوك اسمائهم للمشاركة في الانتخابات بالمحافظة ، قررت تركيا عدم ارسال اي مراقبين اتراك للانتخابات العراقية معللة ذلك بسبب التهديدات الامنية . وجاء هذا التطور في ظل تصاعد مخاوف تركيا ازاء سيطرة الكرد وفرض هويتهم على مدينة كركوك . وفي ظل هذه المخاوف التركية بعث عبدالله غول الذي كان وزير خارجية تركيا آنذاك رسالة الى كوفي عنان امين عام الامم المتحدة الاسبق حذر فيها من مغبة الخطوات التي تقوم بها الفصائل الكردية لتغير التركيبة الديمغرافية لمدينة كركوك ، معرباً في الوقت نفسه عن قلق تركيا البالغ ازاء هذا التطور واشار الى انه وعلى الرغم من ان الامم المتحدة غير مسؤولة بشكل كامل عن الانتخابات

العراقية لكن المنظمة الدولية لها دور كبير ومهم في اعداد الوضع اللازم لهذه الانتخابات . من جهة اخرى اتهمت تركيا اثنين من الاحزاب السياسية المشاركة في الانتخابات العراقية بانهما حزبان لهما صلات بمنظمة ارهابية ، اي حزب العمال الكردستاني ، وهما حزب الحل الديمقراطي الكردستاني وحزب اعادة البناء الديمقراطي وطالبت بمنع هذين الحزبين من المشاركة في الانتخابات آنذاك . الا ان مفوضية الانتخابات العراقية في الخارج في ذلك الوقت ، اكدت ان هذين الحزبين مدرجان ضمن الاحزاب المشاركة في الانتخابات العراقية وانهما مدونان في بطاقات الاقتراع مؤكدة ان المفوضية العليا المستقلة للانتخابات العراقية هي التي تقرر اي من الاحزاب يمكنها المشاركة في الانتخابات من عدمه (10).

وبعد ان اجريت الانتخابات في 30 يناير / كانون الثاني 2005 برز متغير مهم اثر في السياسة التركية تجاه اقليم كوردستان العراق تمثل بسيطرة الكرد على 77 مقعدا من اصل 275 من مقاعد الجمعية الوطنية العراقية ، وتوجهم بقوة الى صوغ) عراق فيدرالي تعددي . (ولذلك فان السياسة التركية حاولت الابقاء على علاقات متوازنة مع القيادة الكردية في العراق من خلال تعزيز خطوات اتخذتها ، مثل قبول قيام ترتيبات فيدرالية لكرد العراق ، وهي افكار كانت تعدّها تركيا قبل ذلك من المحرمات وتعزيز التبادل التجاري . فبعد الانتخابات استقبل الزعيم الكردي جلال الطالباني في شهر فبراير / شباط 2005 وفد عالي المستوى برئاسة فهري كرتورك المبعوث التركي الخاص للعراق ، وعلى وفق ما ذكرته جريدة الزمان التركية فان اعضاء الوفد اخبروا الطالباني ان تركيا لم تعد تعارض دعوة الكرد للفيدرالية ، ما دامت هناك ضمانات على الحفاظ على وحدة اراضي العراق ، وان تتمتع كركوك بوضع خاص (11) .

ومن جانبهم فان القادة الكرد حاولوا ايضا الابقاء على الصلات بين الحكومة التركية والقيادة الكردية في العراق ، لاسيما بعد ان اصبح الزعيم الكردي جلال الطالباني الامين العام للاتحاد الوطني الكردستاني رئيسا لجمهورية العراق انذاك ، ليصبح اول كردي يتولى هذا المنصب في تاريخ العراق, . وعلى الرغم من ان الكرد تحدثوا كثيراً عن الاستقلال ، الا انهم يعرفون ان لا الاتراك ولا بقية دول الجوار او بقية العراق سيتسامحون مع محاولتهم لاقامة دولة كردية ، وهدفهم كان في ذلك الوقت هو الحصول على اكبر قدر ممكن من السلطة في ظل عراق فيدرالي (12).

ولذلك فان تركيا وان كانت لم تبد موقف رسمي معارض لتولي جلال الطالباني رئاسة الجمهورية انذاك ، الا ان رئيس الاركان التركي حذر في 20 ابريل / نيسان 2005 من اي محاولة للسيطرة على كركوك (13).الا ان جلال الطالباني الذي كان رئيس العراق انذاك صرح في اليوم التالي لتصريح رئيس الاركان التركي بانه سيعمل على تعزيز العلاقات بين تركيا والعراق في

المجالات السياسية والاقتصادية ، وانه سيعمل على فتح معبر حدودي ثاني مع تركيا وفتح قنصلية تركية في الموصل وانه سيعمل على مطاردة المتمردين من كرد تركيا الذين يختبؤن في جبال كوردستان العراق ، ويقصد بذلك حزب العمال الكردستاني (14).

وبعد ان انقضى بعض الوقت ظهرت سياسة جديدة واقعية في الموقف التركي ازاء العراق ، ولاسيما القضية الكردية ، بعد ان اخذت تتضح الوقائع الجديدة بالمسألة العراقية ، وتبع ذلك بروز مواقف متفرقة وجزئية تداخلت وتراكمت مع الوقت لتشكل سياسة تقوم على العوامل الدبلوماسية والاقتصادية اكثر منها على العوامل السياسية ، وعلى القوة الناعمة اكثر منها على القوة الشديدة ، وشملت مكونات بناء هذه السياسة ما يأتي (15) -:

١- توسيع الحوار مع دول جوار العراق ليضم الحكومة العراقية نفسها ، وذلك لادارة الازمة العراقية بطريقة ناجحة على نطاق الشرق الاوسط .

٢- التخلي عن المقاربة الامنية الضيقة ازاء العراق والتي كانت تركز على قضيتي كوردستان العراق وكركوك وانتهاج مقاربة سياسية اكثر شمولية للعراق تقوم على استراتيجية التوازن بين مختلف القضايا.

٣- توسيع العلاقات الحسنة بعدد من الاطراف والشخصيات العراقية ، لتشمل اطراف اخرين مثل الاحزاب الكردية.

٤- الابتعاد قليلا عن سياسة تتسم بمشاغل اثنية ازاء التركمان العراقيين .

٥- مرونة اكثر للسياسات العراقية وعملية البناء الدستوري كانت حصيلتها ظهور استعداد لدى تركيا لقبول الصيغة الفدرالية للعراق.

المحور الرابع : النفوذ التركي في اقليم كوردستان العراق

مر العراق بحقبة من التوترات السياسية كان احد اطرافها الأحزاب الكردية ، ولقد أثبتت الأحداث الحالية أن هذه الاحزاب الكردية مستعدة لتصعيد الموقف إلى حد المواجهة و التهديد بالانفصال ، كما أن الحكومة الاتحادية بدأت العمل على الوقوف بوجه محاولات سلطة إقليم كوردستان للامتداد خارج حدودها الإدارية الحالية أو توقيع عقود واتفاقات بدون الرجوع إليها .ولن يكن مجدي نفعًا ادعاء الطرفين بضرورة العودة للدستور لأنه ملئ بالغموض الذي لن يستطع حل المشكلات المعلَّقة ، وهنا يكمن الخطر الأكبر .بالطبع لابد من التأكيد على أن الحكومة الاتحادية لا تستطع أن تنتصر وحدها في أية مواجهة ، ولكن هذه الحكومة تمتلك دعمًا إقليميًّا ومحليًّا يمكن أن يقوي من عزيمتها ويدفعها للمواجهة .في المقابل فإن الأحزاب الكردية تمتلك من

الدوافع ما يمكِّنها من الذهاب إلى المواجهة ، ولكن كيف ستواجه هذه الأحزاب القوى الإقليمية الرافضة لتوسع النفوذ الكردي العراقي، مثل تركيا وايران وسوريا . لقد رأينا كيف تعاملت سلطة الإقليم بصعوبة مع مواجهة أو إيقاف القصف التركي – الإيراني المستمر لأراضي كوردستان العراق واكتفت بالشجب ولوم الحكومة الاتحادية (16).

ومع ذاك فان قيادة إقليم كوردستان تمتلك المبررات لوجودها ، ولكن هناك من المحددات الداخلية والخارجية ما يعوق حرية تصرف الإقليم وتعامله مع الحكومة الاتحادية ، يتمثل التحدي الأول في الوضع الإقليمي والدولي ، فإن كان صحيحًا أن بعض قادة الإقليم قد هددوا أكثر من مرة بالانفصال على أساس حق تقرير المصير، إلا أن كل القوى الإقليمية الأخرى وخاصة تركيا وإيران وسوريا الدول المجاورة للإقليم ، تقف بوجه مثل هذه المحاولات خشية أن تنتقل هذه التجربة إلى الكرد الذين يقطنون فيها .ودوليًّا لايختلف الامر كثيرا(17)

وبالنسبة للحكومة التركية فانها تدرك إن إقامة دولة كردية في شمال العراق سيؤدي في السياق التاريخي المستقبلي إلى تقسيم تركيا ، وانضمام الكرد في شرق البلاد إلى الدولة الكردية .لهذا يسعى الأتراك للتقارب مع دول الجوار بهدف تشكيل جبهة موحدة لرفض تقسيم العراق والمحافظة على وحدة أراضيه.

فضلا عن ذلك سعت تركيا الى تعزيز نفوذها في اقليم كوردستان العراق عن طريق التغلغل الاقتصادي في الاقليم ، من اجل حماية مصالحها اذا ما حدث اي تطور في الاقليم عن طريق امتلاك اوراق ضغط اقتصادية مستقبلية تجاه كوردستان العراق بعد اي تحول ممكن ان يحدث فيها باتجاه مزيد من الاستقلال . لاسيما ان هناك جملة من المشاريع التركية الضخمة في كوردستان العراق، إذ تشير التقارير المشتركة إلى أن نحو 90 % من المواد الغذائية في إقليم كوردستان تأتي من تركيا ، كما أن الشركات التركية تزدهر في الإقليم لدرجة أنها تكاد تنفرد في مجال المقاولات والعمران وإقامة مشاريع البنية التحتية ، وبالتوازي مع لغة المصالح بدأت تركيا بحركة ثقافية على مستوى إقامة المراكز الثقافية وأخرى لتدريس اللغة ، فضلا عن الجامعات .ويبقى مطلب تركيا من كرد العراق إيجاد حل لمشكلة حزب العمال الكردستاني .ويبدو أن هناك جهودا كبيرة تبذل في السر، اذ كان لافتا إعلان حزب العمال الكردستاني مرارا عن وقف لإطلاق النار من جانب واحد(18).

وتدعم كل هذه التوجهات التركية في التغلغل داخل اقليم كوردستان العراق وجود خطوط النفط والطاقة، اذ تمر العديد من خطوط النفط والغاز إلى تركيا عبر كوردستان العراق .فهناك خط كركوك جيهان الذى يعبر منه ربع النفط العراقى عبر تركيا يمر عبر كوردستان العراق ،

وإمكانيات استثمارية هائلة فى بناء وتعمير كوردستان العراق، اذ يعانى اقتصاد الإقليم من هيكل اقتصادى مختل ، وضعف فى قطاع الصناعة والزراعة ، وهشاشة البنية التحتية ، وضعف وقلة خبرة القطاع الخاص الكردى ، مما يشكل فرصة هائلة للاستثمارات التركية فى جميع المجالات ، خاصة الطاقة والتشييد والبناء ، فضلا عن الصادرات للمنسوجات والأغذية ومواد البناء . كل هذه المدخلات تشكل اسس الاهتمام التركي بالاقليم وهذا هو المنطق الذي حكم السياسة التركية على الدوام فالاحساس باهمية الاقليم وتاثيره على الواقع التركي والامن التركي من اجل ذلك استحضر الاتراك هذه المدركات على الدوام [19] .

المحور الخامس:الاستراتيجية التركية تجاه اقليم كوردستان العراق بعد الاستفتاء

في 3 ديسمبر / كانون الاول 2015 دخلت وحدة عسكرية من القوات التركية تضم 150 جنديا و 20دبابة الاراضي العراقية وتمركزت في منطقة بعشيقة ، بحجج مختلفة من بينها وجود اتفاق بين العراق وتركيا لتدريب القوات العراقية للقضاء على تنظيم داعش الارهابي ، وتزايد تهديدات حزب العمال الكردستاني لامن تركيا ، على الرغم من نفي الحكومة العراقية لوجود هذا الاتفاق . على اثر ذلك فقد استدعت وزارة الخارجية العراقية السفير التركي في العراق وسلمته مذكرة احتجاج ، واصدرت بيانا طالبت فيه بانسحاب القوات التركية من الاراضي العراقية لان تواجدها يشكل خرقا للسيادة العراقية[20] .

ان هذا التواجد العسكري التركي في الاراضي العراقية كان السبب الرئيس في عدم ادانة الحكومة العراقية بشكل واضح لمحاولة الانقلاب التي شهدتها تركيا في 15 يوليو / تموز . 2016 اذ اصدرت وزارة الخارجية العراقية بيانا اشارت فيه الى) ان هذا الامر شأن داخلي تركي ، وان سلامة المواطنين هي الاهم ، والتاكيد على اهمية احترام السياقات الديمقراطية وحفظ مؤسسات الدولة التركية وعلاقاتها مع المجتمع الدولي والدول المجاورة . (ومن الملاحظ ان العبارات التي وردت في البيان قد اتسمت بالعمومية وتفادي اتخاذ موقف صريح [21] . وهذا الموقف اثر على العلاقات العراقية – التركية التي اصابها نوع من الفتور بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة.

الا ان الاستفتاء على الانفصال في اقليم كوردستان العراق في 25 سبتمبر / ايلول 2017 كان سببا لتقارب بين العراق وتركيا . اذ قبل اجراء الاستفتاء زار وزير الخارجية التركي مولود جاويش اوغلو العراق في 23 اغسطس / آب 2017 ، واجرى عدة لقاءات مع المسؤولين العراقيين وبين موقف تركيا من الاستفتاء ووصف قرار الاستفتاء بالخاطئ ، واكد على دعم تركيا لوحدة العراق

ومحاربة كافة انواع المجموعات المسلحة والارهابية وتواجد حزب العمال الكردستاني في العراق الذي عده خطرا على وحدة وسلامة الاراضي العراقية([22]) .

كما ان الاجراءات التي اتخذتها تركيا بعد الاستفتاء تجاه اقليم كوردستان العراق ، اسهمت في تعزيز العلاقات العراقية – التركية ، لاسيما بعد تعاون الحكومة التركية مع الحكومة العراقية في تنفيذ الخطوات التي اتخذتها الاخيرة تجاه اقليم كوردستان فيما يخص المعابر الحدودية بين العراق وتركيا ، وغيرها من الخطوات التي اتخذت لدفع اقليم كوردستان على الغاء نتائج الاستفتاء ، والتي وصلت الى درجة من التعاون العراقي – التركي بان تواجدت قوات عراقية على الاراضي التركية بالقرب من المنافذ الحدودية بين البلدين.

ولكن مع ان الاستفتاء على الاستقلال في اقليم كوردستان العراق قد عزز العلاقات العراقية – التركية، الا ان السياسة الخارجية التركية لم تنجح الى الآن في كسب ثقة العراقيين . اذ ان التعامل التركي السابق مع اقليم كوردستان العراق بعيدا عن الحكومة الاتحادية في بغداد ، والتدخلات التركية السابقة في العراق اسهمت في عدم الثقة هذه . فضلا عن ان السياسة التركية تجاه الكرد اتسمت بالازدواجية سواء في داخل تركيا ام في خارجها ، واحد اسباب هذه الازدواجية وجود حزب العمال الكردستاني ، فمع ان مواقف حزب العدالة والتنمية تجاه الكرد اتسمت بالمرونة ، الا ان حزب العمال الكردستاني يصر على اقامة دولة كردية([23]).

اذ ان حزب العمال الكردستاني كان دائما العامل المؤثر ايجابا او سلبا في سياسة تركيا تجاه اقليم كوردستان العراق ، وسوف يبقى مستقبلا متغير مهم مؤثر في هذه السياسة ، وفي الصفقات والمساومات التي ممكن ان تتم مستقبلا بين تركيا واقليم كوردستان العراق وانعكاس ذلك على علاقات تركيا مع الحكومة الاتحادية في بغداد.

الاستنتـــاج:

يتضح من ذلك ان السياسة التركية تجاه اقليم كوردستان العراق بعد 2003 اتسمت بالواقعية ، اذ انها بدأت تقبل بالكثير من القضايا التي كانت تعدّها خطوط حمراء لايمكن تجاوزها . ويعود ذلك في جزء كبير منه الى تقديم المصالح الاقتصادية التركية على المصالح السياسية ، مع عدم اغفال حقيقة ان الموقف التركي تجاه اقليم كوردستان مازال يكتنفه بعض الغموض . فمن المعروف ان السياسة التركية تقوم على مبدأ تعدد الخيارات تجاه اي قضية توجد لديها شكوك حولها ، وهو ما يعني ان تركيا وان غيرت من طريقة تعاملها مع العراق عموما ، واقليم كوردستان

خصوصا ، الا ان كل الاحتمالات تبقى قائمة فيما يخص السياسة المستقبلية التركية تجاه اقليم كوردستان العراق.

مع ذلك فان السياسة التركية القائمة حاليا تجاه اقليم كوردستان والمستندة على اساس تقديم المصالح ، لاسيما الاقتصادية ، من المتوقع ان تبقى المنطلق لاي سياسة تركية مستقبلية في التعامل مع المستجدات الحاصلة في اقليم كوردستان العراق على الاقل فيما يخص البعد الاقتصادي ، ولذلك للحفاظ على الارباح التي تجنيها تركيا من وراء هذه السياسات المصلحية.

وسوف تمارس تركيا دوراً كبيراً في تهدئة القلق الكردي ، والواقع أنه في مرحلة ما بعد استفتاء انفصال اقليم كوردستان العراق ، قد ينتهي الأمر بلعب تركيا لدور أقوى بكثير في العراق كقوة مكافئة في مواجهة إيران ، وإذا اختارت تركيا أن تكون حامية للكرد تستطيع ان تجني مزايا أخرى من المحفزات الإيجابية أولها وأهمها أن تغير الخطاب وعرض المساعدة السياسية على الكرد سوف يساعدان أيضاً على تخفيف بعض التوترات العرقية بين الكرد والتركمان بحيث يصبح الحوار بشأن كركوك ممكناً ، وقد يتجاوب الكرد مع تركيا ويبدؤا علاقة أحسن مع الأتراك والتركمان إذا رأوا أن تركيا لا تعارض بإصرار التطلعات الكردية ، وبالمثل ، هناك احتمال أكبر بكثير لأن يتعاون الكرد بشكل مثمر مع الأتراك في العمليات المناهضة لحزب العمال الكردستاني مستقبلا .

الا ان البعد السياسي المغيب الآن عن السياسة التركية تجاه اقليم كوردستان في الظاهر ، قد يصبح هو الوجه البارز لهذه السياسة اذا ما حصل تطور كبير في مواقف الاقليم حول العلاقة مع الحكومة الاتحادية .

الهوامـــش :

(1)د خليل جندي رشو ، سياسات تركيا تجاه كردستان العراق (1998 – 1991) ، بحث ترقية الى درجة وزير مفوض، معهد الخدمة الخارجية /وزارة الخارجية ، بغداد، 2010 ،ص . 35

(2)المصدر نفسه ، ص ص. 51 – 50

(3)المصدر نفسه ، ص . 46

(4)محمد عبدالقادر ، الازمة العراقية : قراءة في الموقف التركي ، www.islamonline.net

(5)سعد عبدالمجيد ، الصراع الكردي – التركي : ثقوب في التحالف الامريكي ، www.islamonline.net .

(6)العلاقات التركية – العربية ،التقرير الاستراتيجي العربي،القاهرة،2004 –2003 ،ص 233

(7)طه عودة ، تركيا تبحث عن دور لها في العراق ،. www.almoslim.net

(8)اتسمت السياسة التركية تجاه الكرد ومنذ نشوء الجمهورية بإنكار الهوية الكردية وعدم التعامل معهم كأقلية لها خصوصية وحقوق . وظهر العناد الكردي في شخصية الزعيم " عبد الله أوجلان " خلال حقبة دراسته في أنقرة ، عندما اجبر على ترك لغته والتعامل باللغة التركية ، اذ جمع حوله الأنصار وشكل حزب العمال الكردستاني PKK عام .1978 وطالب الحزب بدولة كردية مستقلة على مبادئ وأفكار ماركسية شيوعية . وتمتد هذه الدولة على أراضي الأناضول الشرقية والجنوبية الشرقية ، وفي عام 1998 تم التوصل مع سوريا إلى اتفاق أوقف بموجبه كافة نشاطات الحزب العمال الكردستاني داخل الأراضي السورية ، وتم إخراج عبد الله اوجلان منها ، وفي نهاية المطاف تم اعتقال عبد الله اوجلان ، وما زال قيد الاعتقال.

سامح راشد ، الورقة الكردية : طريق امريكا الجديد الى بغداد ، . www.islamonline.net

(9)تعد كركوك مدينة استراتيجية تبعد عن بغداد 270 كم تسكنها ثلاث قوميات " العربية ، الكردية ، والتركمانية " ، يحتدم فيها الآن جدل الهويات . من هنا فان تركيا قلقة جداً على الوضع في العراق ولاسيما في الشمال فهي تراقب الأوضاع عن كثب وأي تغيير في الأيديولوجيات سيؤثر وبشكل مباشر على الأمن الوطني التركي بسبب تواجد اكثر من 20 مليون كردي على الأراضي التركية ، فهم يشكلون 25% من سكان تركيا.

الانتخابات العراقية ،. www.tharwapoject.com

(10)انقرة تتهم حزبين كردين بدعم الارهاب ، صحيفة الوطن ، مسقط ، . 2005 / 1 / 26

(11)اسعد العزوني ، العراق بعد الانتخابات ،. www.alkomi.net

(١٢) اسامة مهدي ، كرديا رئيساً للعراق في سابقة تاريخية ،

www.alparty.org/manbar/talbni.htm.

(13)صحيفة الحياة ،. 2005 / 4 / 21

(14)صحيفة الصباح ، العدد 513 ، بغداد ، . 2005 / 4 / 23

(15)بلسم سعد عبدالستار العبيدي ، الوظيفة الاقليمية لتركيا بعد عام 2003 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية / جامعة النهرين ، 2011 ، ص. 206

(16) http://www.kurdme.com

index.php?option=comcontent&view=article&id=٢٢١:١٢&catid=-٤٣:٢٠١٠

٣٣-٣٢-٠٤-٠٢-٠٣&Itemid= ١٠٣

(17) المصدر نفسه.

(18)تكامل اقتصادى بين تركيا وإقليم كردستان:
http://www.niqash.org/content.php?contentTypeID=28&id=2679&lang=1

(19) بدء تصدير النفط من كردستان العراق:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8852F8F2-D771-4C8B-8204-0DBB79C427CD.htm

(20)د عبدالرزاق ربيع احمد ، تحولات السياسة الخارجية التركية بعد 15 تموز 2016 ، بحث ترقية الى درجة مستشار ، معهد الخدمة الخارجية / وزارة الخارجية ، بغداد ، 2017 ، ص ص 79 – 80 .

(21)المصدر نفسه ، ص ص. 79 – 78

(22)المصدر نفسه ، ص. 33

(23)اوراد محمد مالك كمونة ، السياسة الخارجية التركية تجاه ايران (2016 – 2007) ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد ، 2017 ، ص ص – 287 288 .

المصادر

الكتب:

العلاقات التركية – العربية ، التقرير الاستراتيجي العربي ، القاهرة ،. 2004 – 2003

الرسائل والاطاريح:

– 1اوراد محمد مالك كمونة ، السياسة الخارجية التركية تجاه ايران (2016 – 2007) ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد ،. 2017

– 2بلسم سعد عبدالستار العبيدي ، الوظيفة الاقليمية لتركيا بعد عام 2003 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية / جامعة النهرين ، . 2011

البحوث:

– 1د خليل جندي رشو ، سياسات تركيا تجاه كردستان العراق (1998 – 1991) ، بحث ترقية الى درجة وزير مفوض ، معهد الخدمة الخارجية / وزارة الخارجية ، بغداد ،. 2010

– 2د عبدالرزاق ربيع احمد ، تحولات السياسة الخارجية التركية بعد 15 تموز 2016 ، بحث ترقية الى درجة مستشار ، معهد الخدمة الخارجية / وزارة الخارجية ، بغداد ،. 2017

الصحف:

– 1انقرة تتهم حزبين كردين بدعم الارهاب ، صحيفة الوطن ، مسقط ، . 2005 / 1 / 26

– 2صحيفة الحياة ،. 2005 / 4 / 21

٣ –صحيفة الصباح ، العدد 513 ، بغداد ، . 2005 / 4 / 23

الانترنيت:

١– اسامة مهدي ، كرديا رئيساً للعراق في سابقة تاريخية ،
www.alparty.org/manbar/talbni.htm.

٢–اسعد العزوني ، العراق بعد الانتخابات ،. www.alkomi.net

٣– الانتخابات العراقية ، . www.tharwapoject.com

٤–بدء تصدير النفط من كردستان العراق:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8852F8F2-D771-4C8B-8204-0DBB79C427CD.htm

– 5تكامل اقتصادى بين تركيا وإقليم كردستان:
http://www.niqash.org/content.php?contentTypeID=28&id=2679&lang=1

– 6سامح راشد ، الورقة الكردية : طريق امريكا الجديد الى بغداد ، www.islamonline.net

– 7 سعد عبدالمجيد ، الصراع الكردي – التركي : ثقوب في التحالف الامريكي ،
www.islamonline.net .

– 8طه عودة ، تركيا تبحث عن دور لها في العراق ،. www.almoslim.net

– 9محمد عبدالقادر ، الازمة العراقية : قراءة في الموقف التركي ،
www.islamonline.net
http://www.kurdme.com index.php?option=comcontent&view=article&id=221:12&catid=43:2010-03-02-04-32-33&Itemid=103